



سميح القاسم

تتضمن غير مرغوب فيه

Persona non grata

قصائد

دار الكلمة

شخص غیر مرغوب فیہ
Persona non grata

قصائد

سمیع القاسم

شخص غیر مرغوب فیہ

Persona non grata

قصائد

مصمم الغلاف : كريم الحاج
اللوحات : تيريز نصر عزام

دار الكلمة

شارع ليون - بناية سلام . الكهراء
بيروت . لبنان
ص . ب ٥٢٨٨ / ١٣
تلفون : ٨٠٣٧٤٠

جميع الحقوق محفوظة ©

الطبعة الثانية تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٦
الطبعة الأولى كانون الثاني (يناير) ١٩٨٦

سميح القاسم

PERSONA NON GRATA

(شخص غير مرغوب فيه)

قصائد

أَلْقَصِيدَةُ الْمَفْخُخَةِ

لا بُدَّ أن تمضي
ظلامك حالك ؟

لا بأس ،
مُدَّ يديك في حذرٍ
وحاول أن تصيخ القلب
حدق بالأصابع
ولتكن أذنك
في هذا الظلام عصاك
لا !

ما أنت بالأعمى
ستفهمني
ظلامك دامسٌ
وعليك أن تمضي
لديك رسالةٌ
والنورُ في غلب العرائس
أنت تفهمني
تقدّم !
بترتك طائرةٌ بریش جناحها
أبصرت لحملك طائراً

ترتجُ في منقاره الدمويّ سنبلتان
واحدة لطفلٍ جائعٍ
سقطتُ على أبويه جدران المخيم
ولشعرٍ من أحبت سنبله
تقدّم
نضجت سنابلك اليتيمة في جهنّم
لا بدّ أن تمضي
سمعتك صارخاً من قاع موتك :
أقبلوا
أو فارحلوا
فرجتُ كربتكم نهراً
أقبلوا
أو فارحلوا
سريتُ عنكم في الليالي
ووهبتكم نصراً
وما حملتكم عبء القتال
يا أيها الموتى بلا موتٍ
تعبت من الحياة بلا حياة
وتعبت من صمتي

ومن صوتي
تعبت من الرواية والرواية
ومن الجناية والجنابة
ومن المحاكم والقضاة
وسئمت تكليس القبور
وسئمت تبذير الجياع
على الأضاحي والندور

لا بدّ أن تمضي
عذابك سيّد
ويداك جاريتان
في قصر الخليفة
أنت تدرك
أنهم أخذوك ليلاً
كي يعودوا وحدهم ملء النهار
أقول لي ؟
عفواً ،
كلامك رائع
لكنهم ماضون في القصف الاذاعي

انتبه !
لك انت صاروخٌ حقيقيٌ
وللأعداء صاروخ الحوارِ
وتقول لي ؟
الإخوة الأعداءُ يفترسون حلمك
مرةً أخرى
وأنت تقول لي
عفواً ،
سمعتك مرةً أخرى
كلامك رائعٌ
أنا لم أقاطعك
انتبه !

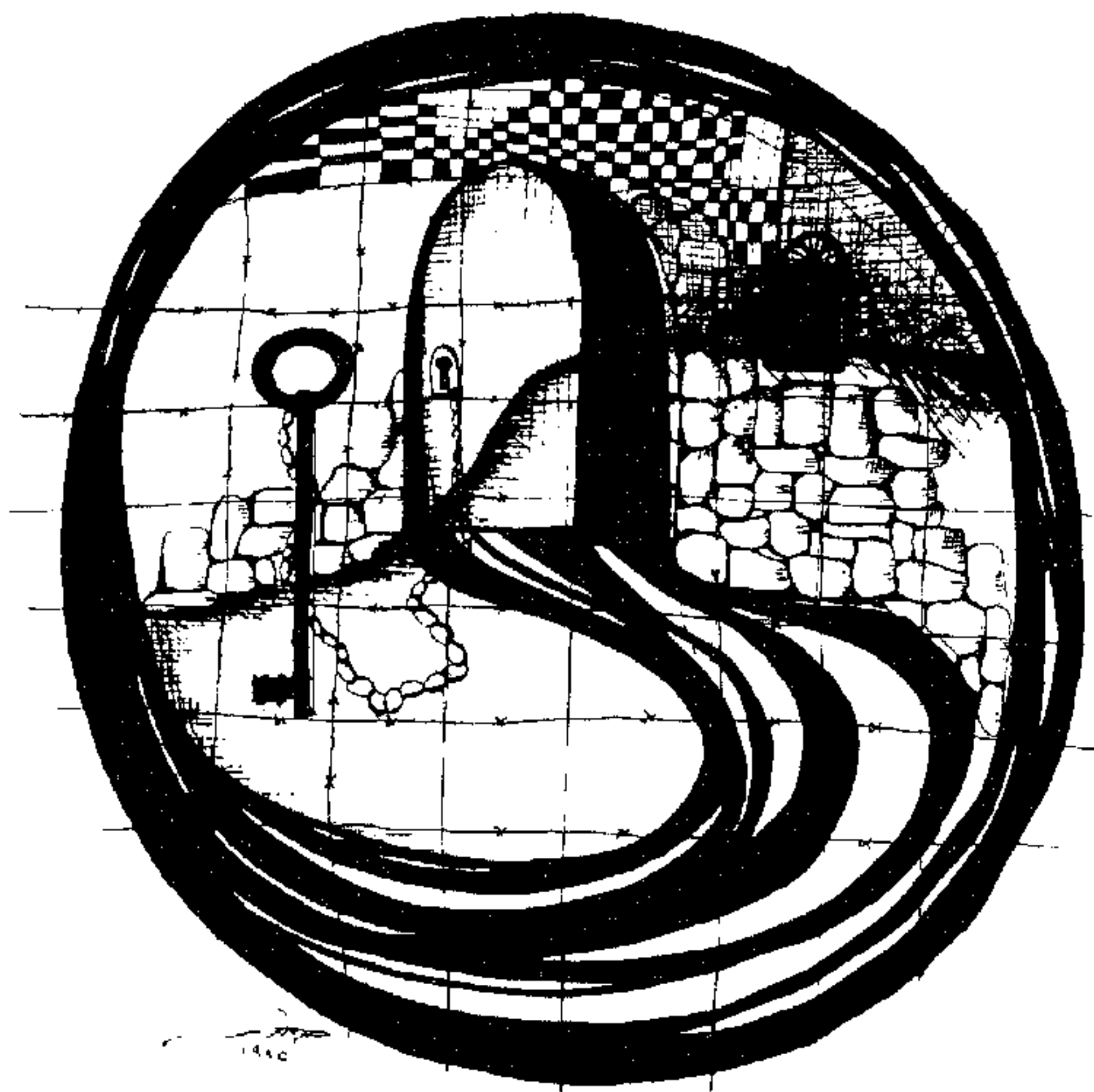
في الشرفة البيضاء قناصٌ
يسدّد نحونا حجراً من الأنقاض
أُسِنِدْنِي
دوار البرّ يجرفني
الى بحر الدوارِ
ويداي جاريتان
ميتتان تحت جنود قيصر

وتقول لي ؟
الله أكبر !

من وحشة الوادي القديم
طلعت مغتبطاً
تزین صدغك الدامي قرنفلهُ
وتسطع في جبينك نجمة حمراء
كان جوادك المجنون
يصهل عارياً في السهل
كان النرجس المغرور
مأخوذاً بسحرك
زغردت بنت من الشرفات
أجفلت الشوارع
واحتفى القناص ثانيتين
لم أبصرك
قيل سقطت تحت اللوزة الخضراء
قيل تخضبت عصفورة خفقت بقربك
واحتفى القناص ثانية ،
وعاد

لم أنسَ
قيل تداولتك رصاصتان
وقيل إن شظية
ثقت على يدك الضماد ..

قيتو !
هنالك صيغة غير التي تُروى
هنالك صورة من ساحة الاحداث
هُم قتلوا المصور
نحن نعرفهم
ونعرف لعبة الإعلام
ندرك ما يريد «العالم الحر» ،
المكبّل بالأساطير الحقيرة
نفهم الأعداء من ألفٍ إلى ياءٍ
ونعلم أنهم قتلوا المصور ضاحكين
أصخ قليلاً قلبك المشحوذ بالطلقات
ضحكتهم ترفرف
نورساً فوق الخليج
وناقلات النفط تضحك



دعني أقبل
- يا حبيب الله والانسان -
جرحك
قيتو !

ولي صبح يغادرني
كما غادرت صبحك ..

يومان
أسبوعان
شهر طافح
عامان
قرن
هل تعبت ؟
تعال يا ولدي
أنا مهدت صدري
كي تريح عليه جثتك الفتية
وتعال يا ولدي
لألقي رأسي المقطوع
بين يديك

قد أرتاح من موتى البطيء
على رصيف الأبدية
الوردة الحمراء تقتلني
كما قتلتك أنت البندقيّة !

ها هم هنالك
في خرائب جثتي يتجامعون
ها هم
تُفضّ بكارة أخرى أمام عيونهم
تصطك في شبق مفاصلهم
وتسهل مهرة الشهوات
تنفجر الأصابع والعيون

ها هم هنالك
جوعهم حنش
وأيديهم أظافر
ها هم هنالك

في المواطن والمنافي والمهاجر
يكون في أعراس موتاهم
تهز الأرض دبكتهم

وتكتسح المنابر
ولنا التمزق والتفجر والجنون ..

سأعود أمس
أعود أمس من السفر
ويعود للغيم المطر
وتعود أنت إليّ أمس
تعود محمولاً على الأكتاف نعشا
وتعود
أغنيةً وسنبلةً وعرشا
وتعود عصفوراً يرمم في خراب الأرض عشا
وتعود
قنديلاً على الطرقات
مندبلاً على الشرفات
أعراساً
ولاداتٍ
أسرٍ
ولك القضاء
ولي القدر

لا بدّ أن أمضي

ظلامي حالك

لا بدّ أن تمضي

ظلامك حالك

الشمس من غربٍ إلى شرقٍ

وروحى في الفضاء جذورها انتشرت

وفي أعماق بئر النفط

أورق سرُّ موتى وازدهر

فاقطف ثمار الموت

يا ابن الموت

روحك

في تراب الموت أنضجت الثمر

يا أيها البدويّ

أدرك أننا روح موزعة على جسدين

آدمٌ حسرتي

حواءُ حزنك

واحتراقٌ يديك بين يديّ

أجناسُ البشر..

يا أيها البدوي
سوف نعود أمس
نعود ..

ما رضوان ؟
ما الجنات تجري تحتها الأنهار ؟
ما الحشرُ المباغت ؟
ما سقر ؟
لا بد أن أمضي
عذابي وردة
وفمي حجر ..

دونتُ عنواني
ورقم الهاتف السري
في سيارةٍ ملغومةٍ
ودفعتُها في البر
لم أحدس
بأن غزاةً زرقاء
سوف تلومني أبداً
قتلتُ حبيبها

ونشرتُ عنواني
ورقم الهاتف السريّ
في أشلائه
وقتلْتُ سنبلةً ووردهُ
ونكصتُ مغموماً
وكنْتُ أنا القَتيل
وقاتلي ذئب خرافيّ
كساني الخلقُ جلدهُ !

كدّستُ أشلائي
وأشلاء العدوِّ
(دماؤنا اختلطت)
وصورةَ منزلي المنسوفَ ظُهرًا
والأضابيرَ الصغيرة والكبيرة
والتقاريرَ الوفيرة
والقرارات الخطيرة
والإدانات الكثيرة
والنداءات المريرة
كلها كدّستها

مختومةً بالشمع والقصدير
فوق سفينةٍ ملغومةٍ
ودفعتُها في البحر
لم أحدس
بأن «القرش» سوف يلومني
لا بأس
إن يدي على ظهري
وساقي في فمي
لا بأس
قلبي في الشوارع
طفل بلا أهلٍ
دُمَاهُ كثيرةٌ
يُتَمُّ وآر . بي . جي
وجثة أخته الصغرى
وآلاف الحواجز
والجنائز
والمواقع
والمدافع
لا بأس ،

قلبي في الشوارع
طفل بلا أهل
تطوّحه الزوابع في الزوابع

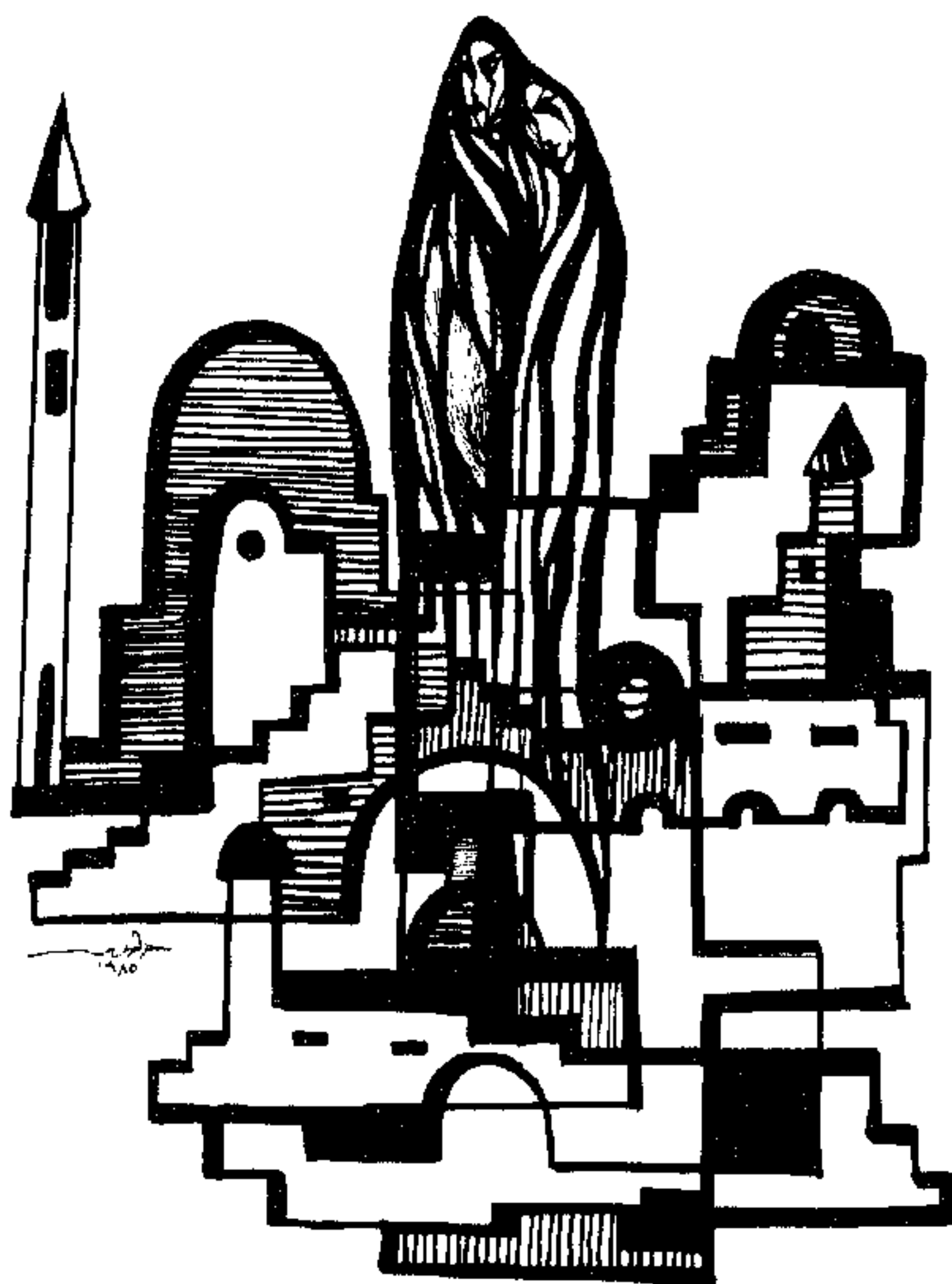
ويكون أن يغمى على الفولاذ
تخلع جلدّها الأفعى
تراودني قبيل الضوءِ حدّاهُ
ويكون أن يتضاءل الزيتون
ثم يكون
أن يلدّ المدى شجراً من الإسمنت
ثم يكون
أن نيازكاً تنقضّ فجاءه
ويطلّ من صدع المسافه
ولّد تطوّحه الخرافة في الخرافه
ولّد يهودي صغير
نسيته في انقاضها الأفران
واهترأت على أضلاعه الأسلاك
قلت : أخي تصير
ولّد يهودي صغير

في قلبه قمرٌ هلاميٌّ
وفي شفتيه أغنيةٌ
عن الناي المكسّر في البراري
عن قطيعٍ مات راعيه الضرب
ولّد يهوديّ فقير
قاسمته خبزي وأزهاري
وأسراري
ولم أحدس
بأن «القرش» سوف يلومني يوماً
ولم أحدس بأن غزاةً زرقاء
سوف تلومني أبداً
ولم أحدس بأن أبي الفقير
يغتاله
ملكٌ يهوديّ صغير !

لا بأسٍ
لي عينٌ على كفي
ولي أنفٌ على رثتي
ولي شمسٌ بلا نورٍ ولا نارٍ

ولي أفقٌ يطلُّ على الضمير
وراءه أفقٌ يطلُّ على الضمير
وخلفه أفقٌ يُطلُّ ..
ولا ضمير ..

مسكونةً بالحزن والحمى
أزقة قريتي اكتظت
برعبٍ فاجعٍ
تروي العجائزُ
أن أفعى من بلاد الهند
تسكنُ منزلاً في الحارة التحتا
وأن خراف إبراهيم
تشغو بعد نصف الليل في الطرقات
لم نخرجُ إلى الحارات
بعد غروب شمس الله
لم نشهد ليالي العُشر في الخلوات
لم نعبِ بباب كنيسة البلد العتيقة
إن جبرائيل يظهر في المساء على نوافذها
ويحكى أن ... يحكى ..



وغبارُ نعلِ محمدٍ
- تروي العجائزُ -
صار تلاً عند عكا
وأنا أموتُ من اليقين
أموتُ
ثم أموتُ شكّا !

لا بدّ أن نمضي
اشتعلنا كالإطارات القديمة
في مداخل قريةٍ
للمرة العشرين داهمها الغزاة
لا بدّ من إكليل وردٍ طازجٍ
خرج الربيع إلى الشوارع
غاضباً
أحبابنا الشهداء في القبر الجماعي
استردوا موقعاً في الأرض
والتفتوا إلى ضوء الحياة
وتهدّجت صيحاتهم
طوبى لهم

طوبى
ونوغل في السبات

من أنت ؟
من هذا الذي هو أنت ؟
من نحن ؟
انتظرنى يا مسيحي المنتظر
لم يبق لي أحد سواك
وليس لي أحد سواي
تعال
إن عناقنا الدموي فاتحة الحقيقة
وتعال
نبتدىء الخليفة

يا أيها البدوي
لا تنظر وراءك
لا نخيل ولا صهيل ولا وتر
قيس وليلى عاريان على ضفاف «السين»
«إل . إس . دي» نديمها

وحزنُ «الهنك»
والشجنُ المكابرُ
والضجرُ
قمرُ؟ أتسأل عن قمر؟
أو . كي .. «عربسات» القمر !

رابطُ
ولا تنظر وراءك
إن معقلنا الأخير هنا ..
ومعقلنا هنا ،
يمتدُّ من قبري لقبرك
رابطُ

على أنقاض سرِّك
أجل صلاتك للإله المعدني
ألا ترى الخلل المعشش في المحرك ؟
فجأةً تخبر الصلاة المعدنية
يصمتُ التوربين
ياه !

زمنٌ يزلُّ الأنبياءُ على مزالقه

ويسقطُ في مكائدهِ إلهُ
ثم يسقط عن معابدهِ إلهُ
ويسير فيه المؤمنون على الجباهِ
زمنٌ .. وآه !

فوضى
وطقسٌ لا يُعد دروسه سلفاً
وما أقسى الربيع بلا فراشٍ
تلك واحدة ترف
على ركام الحاجز المقصوف جواً
تلك واحدة تطل برأسها من جمجمه
خللٌ يعششُ في الأمانى
خللٌ يشرشُ في الأغاني
خللٌ

دروبٌ مبهمه

خللٌ

قلوبٌ معتمه

خللٌ

دخانٌ في الدخان ..

لن يسمع القناصُ أغنيتي

ولن يرضى بغير فمي ملاذاً للرصاصه
هوذا هناك

وراء نافذةٍ محطمةٍ
يسدّد حزنه الوحشيّ صوب ضراعتي
يمتدّ في منظاره شرهاً
ويوغل في جراح ضحيّةٍ أخرى
أراه هناك مصعوقاً
يحاول أن يصادف في دم القتلى خلاصه
وأراه

يعرفني ويجهلني
ويعرفني ويقتلني
ويأخذ جثتي معه رهينه
فلعلهم يهبونه كفني
ولحم حبيبتني
ويدي
ومفتاح المدينة
أنذا أراه ،
ولا ضغينه ..
سبحان موتي وانبعاثي

في زغاريد الولادة
في الأناشيد المراثي
سبحان برقوقي المفتح عارياً
ملء البراري
سبحان عصفوري المغرد
في حطام مجنزرة
سبحان جثة طفلة
ذهبت تفتش عن أبيها
بين أطلال النهار
سبحان مجزرة تخبيء وجهها في مجزرة
سبحان قمصاني التي اهترأت
ونيراني التي انطفأت
وأوطاني التي لجأت
وإنساني الذي انكفأت
على عينيه
أجيال التمزق والدمار
يا أيها الأحياء والموتى
أبوح ولا أبوح
ودمي يجلجل في شراييني

وتشتعل القروح
ويظل لي جسد
إذا جسد مضى
ويظل روح ..

باب المغارة موصد دوني
سقوط نيازكي في ساحة الأقصى المبارك
كلمة السر الأخيرة
دولتي شغفي بسنبلة تيس على انبهار الفجر
أعلامي السنونوات
خفق الريح في الزيتون والسريس
كان نشيدي القومي من أزل
إلى أبد يظل نشيدي القومي
آبائي البيادر
والمعاصر
والقناطر

وسلاتي
وله العناصر بالعناصر
وسلاتي

حُلم يُعدُّ دروسَهُ
حلوً وشاطرٌ ..

وأعود أمسٍ من العواصفُ
وتعودُ أنتَ من القذائفُ
ويعود عفوُ الله والانسَانُ
من غضب الزلازلُ
وتعود أيدينا المقطَّعةُ
الموزَّعةُ
الملوَّعةُ
البعيدةُ

تبني المدارس والمقاهي والمنازلُ
تبني مدينتنا الجديده ..

صورٌ ملونةٌ
كلامٌ طيبٌ
خطٌ جميلٌ
صحفٌ
إذاعاتُ

سفاراتُ
وزاراتُ
قتيلُ
آخذُ بيدي قَتِيلُ

دولُ
عواصمُ
قناصةُ غُمِّي
مطاراتُ
قطاراتُ
عباءاتُ
ملاءاتُ
زعاماتُ
مقاماتُ
جماجمُ

عربُ
يهودُ
قوةُ دوليةُ

روم
أعاجم

ولج المهاجم في المدافع
والمدافع في المهاجم

ولد يحاصر أمه
أم تغير على الولد
بلد يهاجر في بلد

وعلي أن أمضي
وأن تمضي
وأن نمضي
ونوغل في الأبد ..

حجراً على حجرٍ وينهض منزل
بين الركام ، وينهض المستقبل
وتعود من لأي السفار حبيبتى
ويعيد نضرتنا الزمان الأول

هي تلك في أرض الردي تفاحة
نضجت وسنبلة تحن ومنجل
وعلى التراقي زعتر وحقائب
والباب يشفق والسياج يهمل
العشب رهو والسبيل مَهْدُ
والشوق يُسرع والمدى يتمهل
هي تلك بنت شرعت شباكها
ملء الوجود وشاعر يتغزل
هي تلك ، دنيا ودعت أمواتها
واستقبلت أحياءها واستقبلوا
عفواً وهاد الموت ! أنت جميلة
لكن قمتنا الولادة أجمل !

لا بد أن تمضي
لكي أمضي
وأن أمضي
لكي تمضي
تعال إلي

أغنيةً مفخخةً
وصاعقةً رشيقةً
وتعال
إنّ عناقنا الدمويّ ،
فاتحةً الحقيقة
وتعال
نبتدىء الخليفة !

١٩٨٥/٥/٢
الرامة - حيفا - برشلونه

أي

كبرتُ
وصرتُ
من الأهل في منزل الحزنِ
قلبي تمهلُ
وصوتي ترهلُ
وضاقت خطايَ
هرمتُ
وغمتُ
وإني لأسأل نفسي وأسألُ
وأسأل نفسي وأشقى وأضجرُ
ألم يكن العشبُ أنقى وأنضرُ ؟
هل الصبحُ أصفرُ ؟
هل الوردُ أغبرُ ؟
ألم يكن الأفقُ أعلى وأرحبُ
ألم تكن الشمسُ أزهى وأقربُ
كبرتُ
وصرتُ
من الأهل في منزل الحزنِ
يا والدي من تغير ؟

وماذا تغير ؟

كان قبري ، فكيف أصبح قبرك ؟
وهو سري .. أم أنه كان سرّك ؟
يا أبي ! والدي ! أبوي ! ويابا
فيك وحدث ، والردي فيّ أشرك
يا صديقي وفارسي وإمامي
لهفة الروح تقطع الموت إثرك
أتشهى نداءك العذب «يا ابني»
وجوابي لدى ندائك : «أمرّك !»
غبت عني .. هل غبت عني ، وهذا
طيفك الحيّ بيننا يتحرّك
لم تزل تملأ العباءة بيتي
من ترى يملأ العباءة غيرك ؟

قصارى الرضا
وجهك السّمح في مشرق العمر
يا والدي
غاية الرزق من مشرق الشمس
همستك الطيبة
«صباحك يا ابني خير !»

أبوسُ يديك
وألثمُ ردن عباأتك المعشبه
وأملأُ روحي
برائحة البنِّ والتربة الطيبة
وأملأُ قلبي
بحكمتك السُّمحة المرعبة
«صباحك خيرٌ ونورٌ»
وأهمسُ

يا والدي كم أحبك !
وأومنُ أنك حيٌّ كحيدر(*)
وأحلى وأكبرُ
وأعلى وأنضرُ

زيتونةٌ من «خلة القصب»(*)
تهبُ الوجودَ لأمةِ العربِ
نشرت على الآفاق خضرتها
وتفجرت نوراً مدى الحقبِ
ما زرتها إلا وعاجلني
منها سؤال الحزن : «أين أبي» ؟
توقف قلبك

ساعتك الأوميغا استسلمت للزمان
استوت راحتك على جانبك
تعبت
ونمت
وخفتُ عليك
توقف قلبك
قلبك في جسدي موضعه
توقف ،
لكنني أسمعُه
اليك ذراعي
اليك انكساري وحبِّي
أرح في يدي يدك الباردة
توكأ على خوف قلبي
توكأ على دمعتي الجامده
أُفتح أبواب حزني
وتغمض عينيك عني ؟
أبي لا تدعني
أبي لا تدعني
لديّ كلامٌ كثيرٌ إليك

وشوق كبير
 إلى لمسة من يديك
 فلا ترحل الآن
 يا جسر روحي
 إلى أبد في الأبد
 لقد كنت يا والدي والداً
 وعدت على ركبتيك الولد
 أترحل عني ؟
 وتوصد خلفك أبواب حزني ؟
 لم أضع فوق جدار صورك
 يا أبي كيف ألقى نظرك ؟
 يا أبي يوجعني حبك لي
 ومقامي مستعيضاً سفرك
 ضحكة القلب انتهت يا والدي
 دمعة فوق تراب دثرك
 وإذا أبصرت أمي علمت
 أن قلبي ، معها قد أبصر
 يا أبي ما زلت في منزلنا
 ماثلاً ، لم ننس حتى نذكرك

وأنا اللهم الذي كابدته
راضياً، سبحان روحِ عمرك
كم تماديتُ وكم باركتني
غافراً من قبل أن أستغفرك
طفلك المتعبُ مشتاقٌ، فمن
يا أبي، عن مواعي قد أخرك؟

* جبل حيدر الذي يحمل الرامة على زنديه مثل
طفلة ترفض النوم .
* قطعة أرض تثبت زيتوناً وأجيالاً وتاريخاً .

ليلاً ، علي باب فدریکو

فدريكو ..
الحارس أطفأ مصباحه
إنزل
أنذا منتظرٌ في الساحة

فد .. ريب .. كو
قنديل الحزن قمر
الخوف شجر
فانزل
أنا أعلم أنك مختبئ في البيت
مسكوناً بالحمى
مشتعلاً بالموت
فانزل
أنذا منتظر في الساحة
مشتعلاً بلهب الورد
قلبي تفاحه ..

ألديك يصيح على قرميد السطح
فدريكو

النجمة جرح
والدم يصيح على الأوتار
يشتعل الجيتار

فد .. ريكو
الحرس الأسود ألقى في البئر سلاحه
فانزل للساحه
أعلم أنك مختبئ في ظل ملاك
المحك هناك
زنبقة خلف ستارة شبّاك
ترتجف على فمك فراشه
وتمسّد شعر الليل يداك
إنزل فدريكو
وافتح لي الباب
أسرع
أنذا انتظر على العتبه
أسرع
في منعطف الشارع
جلية ميليشيا مقتربه

قرقعة بنادق
وصليل حراب
إفتح لي الباب
أسرع
خبثني
فدريكو
فد .. ري .. كو !

مدريد ۱۹۸۵/۵/۲۷

أنتَ تدري كم نُحبُّكَ !
(الى المتماوت معين بسيسو)

كوفيّةٌ في الريح تخفقُ
خصلةٌ من شعرك الوثنيُّ
مشبعةٌ بملح البحر
تخفقُ

عندليبُ الروح يخفقُ
آخ من قضبانِ صدرك
ضاق بالاعصار
انت محاصرُ
يا أيها النوتيُّ
آية نجمةٍ سقطتُ على الغابات
آية وردةٍ خفقتُ على الامواج
قلبك !

من أين جئت ؟
وكيف كنت ؟
وأين أنت ؟
وأين دربُك ؟

إنسُ وجنُّ في ثيابك

آيَةُ الْكَرْسِيِّ
لَمْ تَشْفَعْ
وَلَمْ تَرُدِّعْ
صَلَاتِكَ أَخْطَأَتْ مَحْرَابَهَا
حَازِرُ
سَمَاوِكَ أَوْصَدَتْ أَبْوَابَهَا
وَارْتَاخَ رَبُّكَ .

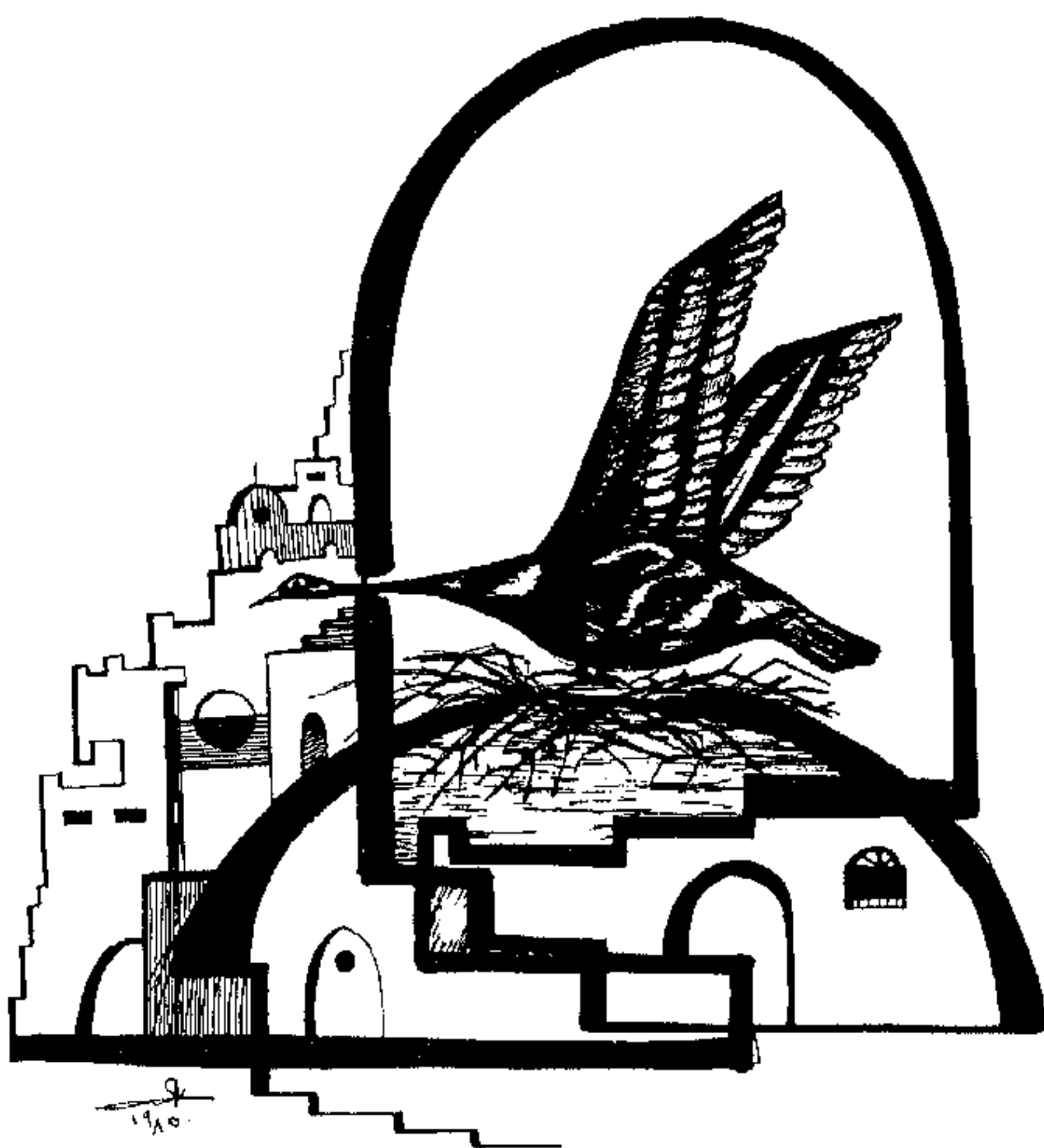
خُذْهَا نَصِيحَةً مَيِّتٍ
يَدْرِي وَتَدْرِي كَمْ يُحِبُّكَ
يَا أَيُّهَا الصَّدِيقُ مَتَّ
فِي الْكَأْسِ ظَلَّتْ سُورَةٌ
يَا أَيُّهَا الزَّنْدِيقُ مَتَّ
سِيرْنُ السَّمَارِ نَخْبُكَ ..

بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَا حَبِيبِي
طِفْلَةٌ نَزَفَتْ
عَلَى مَهْمَازِ فَارِسِهَا الْجَبَانِ

بيني وبينك
ما تساقط من زمانك في مكاني
بيني وبينك
دمعتان
وقصيدة منفيّة
خلف المراثي والأغاني
ولنا الدم المرسوم سنبلة
على مرج الزؤان
فارحل
ولا ترحل
كفاني من رحيلي
ما كفاك وما كفاني ..
يا ابن المدارات السحيقة
يا عريس اللوز والليمون
كيف مدارك الجوفي ؟
كيف عروسك البيضاء ،
في المنفى الهلامي البعيد ؟
كيف الطقوس لديك ؟
هل ما زلت تذكرنا ؟

أتذكر طقس صبوتك العنيدة
وانفجار الروح بين يديك
هل في الكوكب السري من عرافة
تأتيك بالنبأ الجديد ؟

وتر نحاسي على أنقاض قلبك
آخر الأنباء
دمية طفلة مبتورة الساقين .
تحت الشرفة السوداء
سيده تلم غسيلها الناري
فوق الشرفة السوداء
قاذفة تغير على حقيقه
هل أنت مُصغ ؟
تلك سمفونية الكاوبوي
تعزفها أساطيل الخرافة
في طقوس الصم
تعزفها على أوتار قلبك أنت
موعظة من الشركات
والبورصات



والشكنات
للأمم العدوّة والصديقة

وترى ألسّت ترى حبال الله ،
نازلةً

من اهليكوپتر المختال جبريلاً ،
إلى الأرض الغريقة ؟

أنذا أخاطبُ قلبك المشطور
ما بين الحقيقة والحقيقة
فاسمع

ولا تسمع
كفانا في دهور الموت
ما تلدُ الدقيقة ..

نَفَرَتْ طير الشؤم
عن جيف السكارى الميتين
وقذفت في بثر الجنون
حجراً تنأثر في دوائرها المخيفة

وارتجلت النار منطفئاً رمادياً
تطوَّحُهُ بلادُ الله والشيطان
يقذفُهُ الكمين الى كمين
غنيتَ للإيمان
لم تنشد ولم تنشدُ أميرَ المؤمنين
غنيتَ للأحياء والأموات

من زمن
سئمتُ الآن
غناكَ الزمن
يا صاحبي الصعلوك
فامنحني القليل
من الهدوء المستحيل
من كنتُ حتى أبتلى بعذابِ غزّةٍ
مرةً أخرى ،
وكم من مرّةٍ أخرى ابتليتُ
بكل أحزانِ الجليل ..
يا صاحبي !
في النعشِ متَّسعٌ لأغنيتين
واحدةٌ تقول : أنا الكفنُ

وتقولُ واحدةٌ :
تعبتُ من الرحيل إلى الرحيل
وتعبتُ من وطن يموتُ بلا وطن !
يا صاحبي حياً وميتاً
أيها النهمُ البخيل
في النعشِ متَّسعٌ لصعلوكين
كيف مضيتَ وحدك
دون صاحبك القليل ؟ !
زيتونةُ الطوفانِ في قلبي
تعاتبُ فيكَ بركانُ النخيل !

ماذا عليك لو انتظرتَ دقيقتين
وسكرتين
وليلةً مُستهتره
ماذا عليك لو انتظرتَ
قصيدتين
ووردتين
ومجزره ..
ما كان عدلاً منك أن تمضي

ونحنُ مقيّدون
 إلى حديد مجنزره
 وكلابُ بن نون الجديد ،
 تلوكُ في أمنٍ عظامَ المقبره .
 وتريدُ قبراً مثل من ماتوا ؟
 وهل عشنا كمن عاشوا ؟
 وهل متنا كمن ماتوا ؟
 تواضع !
 باسم ربِّ بارك السكين
 حتى تقتلك
 ألمهل السفّاح من أزلٍ إلى أبدٍ
 براك وأهلك
 وتريدُ قبراً ؟
 غيرَ خندقٍ ثائرٍ
 لا قبرٍ لك
 في موطن صليتَ ألا يجهلك
 وبكيتَ كي يستقبلك ..
 كم من نبيٍّ علّلك
 كم من إله أملك

يا صاحبي لا قبر لك
لا قبر لك !

حاولت أن آتيك
يوم فقات قلبك بالسريـر
في الفندق النائي الأخير
حاولت أن آتي
لأحضن رأسك المقطوع
بالحسرات

في منفى الضمير
حاولت أن آتيك
كم حاولت
لكني فقير
وتذاكر الشعراء غالية
على الشعراء غالية
وأرض الموت غالية
على العمر القصير .
حاولت أن آتيك
معتذراً لموتك عن حياتي

آتي ؟
أجيني كيف آتي
باب الحنين مشرع
لكن باب القاهرة
سدته في وجه الحنين
نجوم داوود ..
استغثت برعبي السحري
لم يسعف علاء الدين والمصباح
لا طاقة الإخفاء أجدتني
ولا أجدت أفاعي الساحره ..

إنهض
ولا تنهض
فأشبه الرجال
كما عهدت
على الرجال أباطره !
وسيوف أسياد الحمى
حول الخلافة
والرصافة

والمضافة
والكنافة
ساهره ..
وجيوشهم جرارة
لا لاستعادة موقع
أو مسجد
أو زهرة برية
لكن لسحق مظاهره
ولقتل طفل
ما درى
أن الحنين الى أبيه .. مؤامره !

حاولت
سامحني
وأقسم
لن أسامحهم لآخر آخره !

للياسمينه أن تفوح
وأن تبوح

بما تشاء
ولساحة الأقصى الدعاء
ولأمهات الاخوة الشهداء
ان يقعدن كيف يشأن
في باب المساء
ولك الدعابة
نحن نعرفها
دعابتك الفلسطينية السوداء
نعرفها ،
فلا تثقل علينا
بالمطال وبالرجاء ..
متماوت
متماوت
أسرت بك الأشواق
من أرض
إلى أرض بعيدة
متماوت !
قلها ،
وفاجئنا بأغنية جديدة

يا أيها الصديقُ عِشْ
يا أيها الزنديقُ عِشْ
لم يبقَ وقتٌ عندنا للموتِ
إن ننقص
يزدُ أعداؤنا

فانهض
رشيقة القلب والخطوات
دقت ساعة الميعاد
ها هم
خلف باب الموتِ صحبك
ما زال ملء الشمسِ

والانسان
والتاريخ
شعبك
فانهض إلينا

يا رفيقي
أنتَ تدري كم نُحبك
أنتَ تدري
كم نُحبك ..

الرامة ٢٧ شباط ١٩٨٤

مأساة «هوديني» المدهش

سأبدأ بالرعب (من سُرتي) .. إن لغماً يسدُّ الطريق على الخاصره
ولا علم لي بفنون القتال . اشتبكتُ قليلاً مع الحسرة . استبقتني
الحوادث انكرني الاصفياء . وأدركتُ أني أمارسُ لعبتي الخاسره .
وأبدأ بالسحر (من جثتي) آن لي أن أناوش ضعفي قليلاً . وأوقد
ناراً على جبلي . آن لي أن أصالح بين الزنازين والوردة الساحره
فلا مكة مكّي
ولا جلق قبلي
ولا فرسي القاهرة
سأبدأ قبل البدايه
لأن الختام كناية
وأبدأ من صرخة في التراب
وأبدأ من سَعْفَةٍ طَوَّحَتْهَا الزوابع خلف السراب السراب
وأبدأ من طفلة ضامرة

أهوت على العتبه
زرقاء مُقتَضَبه
في كفها حجر
ودم على الرقبه
ودم على دميها

وفراشة في الصدر مُلتَهبة
أهوت على العتبه
من آخر الزمن
أهوت بلا أهل ولا وطن
عزلاء باسم الله مفتصبة
والباب - لا مفتاح
والليل - لا مصباح
يا واهب الخجل
أسرفت في أجلي
فاخجل
ألا تخجل
من سحرك الاول
يا قاتلي جهراً
أُحييني
سراً
لتبعث في «هوديني» ؟

أن تحذق الافلات من المآزق ؟ أية مهنة هي هذه ؟ فيا أيها
السادة أعضاء السلك الدبلوماسي ورجال الاعلام ! يقيناً أنكم

تجدون في المستر هوديني رجلاً مسلماً بالعبه السحرية المدهشة .
مجيد الفكاك من المآزق المخرجة ، بشكل غير قابل للتصديق . بيد أن
المستر هوديني كلفني شخصياً بأن أنقل اليكم امتعاضه الشديد من
اضطراره لتكرار هذه اللعبة السخيفة القاتلة . وأود أن أطلعكم
أخيراً على أسرار حزنه المميت .

آها ! فهمتُ الآن
لا مَنجِيٍّ من الركضِ المَثابِرِ
إنها تلتف من حولي وتطبقُ
بالفروع وبالجذوعُ
«يا غابة الشيطان !»
أشتُمها وأركضُ
أينَ أركضُ ؟
لا دليلَ الى الامام
ولا سبيلَ الى الرجوعُ
سبحانَ من أسرى
على بعد المزارِ
هي ورطة اخرى
إسارُ فك

يعقبه إيسار
سبحان من
وحدي
ولا جدوى ببسمة
ولا سلوى بحوقلة
أأضحك ؟
تلك مُعضلتي
أأبكي ؟
هل يشقُّ الضحكُ
سرداباً
وهل تُفضي الى درب الدموع ؟

سبحان من زاد القيودَ
وأنقصَ الأسرى
وأوماً بالبروجِ
هي ورطة كبرى !
دخول ؟
أم خروج ؟
آها .. فهتُ الآنَ

بطن الحوت

يوناتان

سرّ الموت والميلاد

آ .. ها ..

لا كثير ولا قليل

غير الذي تركته طائراً على جسد القتل

«أو. كي» أنا أدري ولا أدري

سبيل - لا سبيل

مدن تباعد بين أطلال المخيم والمخيم

(لطفاً أعينيك الذي يجري ؟)

تمط شفاها

والله أعلم

مدن تمدّ موائد الويسكي

وتبكي مثلما أبكي

وتضحك مثلما أبكي وتغضب ثم تندم

ثم تغضب .. ثم تندم

(لطفاً . أعينيك الذي يجري ؟)

تعود لحلمها

والله أعلم

«يا مقصفَ الديدان !»

أشتمها وأضربُ

جثتي قوسي وقنبلتي

أناديها

أمنحيني لحظةً للحزنِ

تولدُ مثل موتي

ويحزُّ في عنقي

وفي رسغي

وزندي

حبل صوتي

آ . ها . فهمتُ الآن

بين القلب والشفتين

يأتيني الذي يمضي

ويتركني ويأتي

قفْلٌ على زَرْدٍ

على قفلٍ على زَرْدٍ

وصندوق من الفولاذ

أودعُ فيه

بعد هُنيهة يُلقون بي في البحر (والصحراء)
يهلع حولي النظارة العُميان
تهتف لي الجموع - ولا جموع
صخب

وموسيقى
وأعلام
وزينات
أُبصر واحد منكم
على أهداب عينيّ الدموع ؟
« يا لعنة القطعان ! »
أشتمكم وأغرق
لا مفر من النزول
ولا مفر من الطلوع ..

الطفل اليهودي أنريخ (ابن الرابي صموئيل فايس) . من مواليد
آذار ١٨٧٤ . والمعروف لاحقاً بالساحر هاري هوديني . صانع
المعجزات في التملّص من المآزق المميتة - الكلبشات . معسكرات
الاعتقال . أفران الغاز . التشرد . المذابح . خبأت أمه كعكتها في

خزانة محكمة الاقفال . وحين عادت الى البيت اكتشفت أنه التهم
الكعكة بينها الاقفال ما زالت محكمة تماما .

الطفل الفلسطيني سميح (ابن محمد قاسم الحسين) من مواليد
أيار ١٩٣٩ والمعروف لاحقاً بالشاعر سميح القاسم . صانع المعجزات
في التملّص من المآزق المميّنة - الكلبشات . معسكرات الاعتقال .
التشرّد . المذابح . خبأت هيئة الامم وطنه في زنزانة محكمة الاقفال
وحين عادت الى البيت اكتشفت أنه أخرج جثته من الزنزانة بينها
الاقفال ما زالت محكمة تماماً .

ما هذه الضجّة ؟
كل الذي صار
أنيّ ثقيتُ بأدمعي تفاحةً فجّة
وتخذتها داراً !
سُدّوا شوارعكم
وتنفسوا الصعداء
لن تجدوه يا أحبابه معكم
وتنفسوا الصعداء
لن تجدوه يا أعداءه معكم
هو ذاك هوديني

هو ذاك في حان الردى يسكر
هو ذاك هوديني الفلسطيني
ملكاً .. بلا عسكر
الكأس والسكين والوردة
والبرد والوحدة
سَمَّارُ هوديني
من أين جاءت هذه الدمعة
من جفنه
أم منك يا شمعَه ؟
يمشي على الماء
في الليل .. عُريانا
كم موجةٍ صاحت :
من كان ؟ من كان ؟
كم موجةٍ باحت :
أبصرت سيمائي
يمشي على الماء
في الليل
عُريانا ..

غَطُّوهُ بِالْجُلُنَارِ
إِنْ مَاتَ بَيْنَ سَنَابِلِ الْأَغْوَارِ
غَطُّوهُ بِالسُّحُبِ
إِنْ مَاتَ بَيْنَ أَيَّامِ النَّقَبِ
غَطُّوهُ بِالْبِيرِقِ
إِنْ مَاتَ بَيْنَ حَشَائِشِ الْجَرَمَقِ
غَطُّوهُ بِالشَّمْسِ
إِنْ مَاتَ فِي الْقَدْسِ ..
خَلَوْهُ عَرِيَانًا يُوَزَّعُ بَيْنَكُمْ رُغْبَةً
إِنْ مَاتَ فِي الْغُرْبَةِ !

مرّةً أخرى دلف الشاعر - الساحر الى الزنزانة عارياً مكبلاً
بالأغلال . والجماهير المحتشدة ترقبه بدهشة لا هلع فيها . ثم عاد
مستدركاً وبحركة مسرحية أنيقة ، انحنى للجماهير محيياً فدوّت
باهتاف والتصفيق وقد نفذ صبرها بانتظار لعبة الموت الممتعة .
أما هو فراح يحيل بينها نظراته الرصاصيّة الواثقة بقدره خارقة
على اجتراح المعجزات ولم يلاحظ أحد ستارة الدمع الشفافة التي
انزلت من جديد على المشهد المتكرر بقسوة نادرة ..

آخِرُ الكونِ جِيبِي
أَرْضُودُوا أَعْمَاقُكُمْ .. تَكْتَشِفُونِي
بُحْتُ لِلصَّحْرَاءِ وَالشَّمْسِ
وَالْفُسْطَاطِ وَالْقُدْسِ
وَكَمْ بُحْتُ
فَمِي زَنْبَقَةُ الْفُولَادِ
لِلنَّارِ أَغَانِيَّ
وَلِلنُّورِ مِرَاثِيَّ
وَلِلْحِكْمَةِ سَحْرِي وَجَنُونِي
وَدَمِي غُرْغُرَةُ الْأَمْوَاتِ بَيْنَ الْأَضْرَحَةِ
وَصَرِيرِ الْبَابِ فِي اللَّيْلِ
صَفِيرِ الرِّيحِ فِي جُمُحْمَةٍ
تَهْرَبُ مِنْ مَذْبَحَةٍ فِي مَذْبَحَةٍ
فَتَعَالُوا شَاهِدُونِي
شَاهِدُوا سَحْرِي وَضَجُوا
حَيْرَةً مِنِّي وَدَهْشَةً
وَتَعَالُوا
أَحْكِمُوا فِكَّ الْكَلْبِشَةِ
لَمْسَةَ صَغْرِي

وتنهارُ أحاجيكم
يكونُ المنتهى في العالمِ السحريِّ
مُثقالٌ من الحزنِ
وتمضي قَدَمي في العالمِ الأرقى
مداراتٍ جديدة
حالة الطقسِ جديدة
التقاويمُ جديدة
لمسة أخرى جديدة
لمسة أخرى
تكونُ الجاذبيَّةُ
شارةً في مُعجمِ السحرِ
وقلبُ الرجلِ الآليِّ
مفتاحُ الفلسطينيِّ
والأغلالُ
إيقاعُ قصيدةٍ ..
أنذا الساحرُ هوديني
أنا السرُّ الفلسطينيِّ
والسحرُ الفلسطينيِّ
أدعوكم من المعلومِ

أدعوكم من المجهول
قوموا واشهدوني
حاولوا أن تبصروني
حاولوا أن تعرفوني
أرصدوا أعماقكم .. تكتشفوني !

(الرامة ١١/٥/١٩٨٤)

فسيفساء على قبة الصخرة



- ما اسمك يا عروس ؟

- نسيتني ؟

«يبوس»!

✱

ليل على القباب
متذنة سادرة في الدهر
وامرأة بالباب
مرتابة بسائح يمر
وعسكر أغراب

✱

رابية للموت والحياه
أدعوك
أم عمامة لله ؟

✱

الولد الحافي
يطالب التاريخ بالحذاء
ويملاً الأسواق بالنداء
أنا أبيع البلسم الشافي
للعقم والصلعة والسوداء ..

أنا هنا
تنفّس
يا حجري المقدّس !

*

يا السورُ يا الأبراجُ
لا بأس يا أسرارنا الحميمة
كم فاتحٍ حاول أن يزحزح الرتاجُ
ليستبيع روحنا القديمة
وعاد بالهزيمة

*

أبصر فيك الفاتحه
غدي يصير البارحة ..

*

لا تحرميني نعمة الصلاة
يا نقمة الوضوء
لا ماء للموجوء
لا ماء باسم الله !

*

دمي على الربابه

من يُنشدُ الرسولَ والصحابه ؟

*

قلبي عليك

آه ثم آه

وقلبك الميت

تحت أرجل الغزاه !

*

جوهرة الناووس

تضيء في الليل

صلي لنا

صلي

يا ربة الطقوس

*

الخاتم الذهب

في اصبع العرب

من قطع الاصبع ؟

سبحان من وهب

- ويل لمن ضيع !

*

الطفلة الحافيةُ البيضاء
تركض فوق الماء ..

✱

تختلف العيون
تختلف النظرة في العيون
يا جبل الزيتون

✱

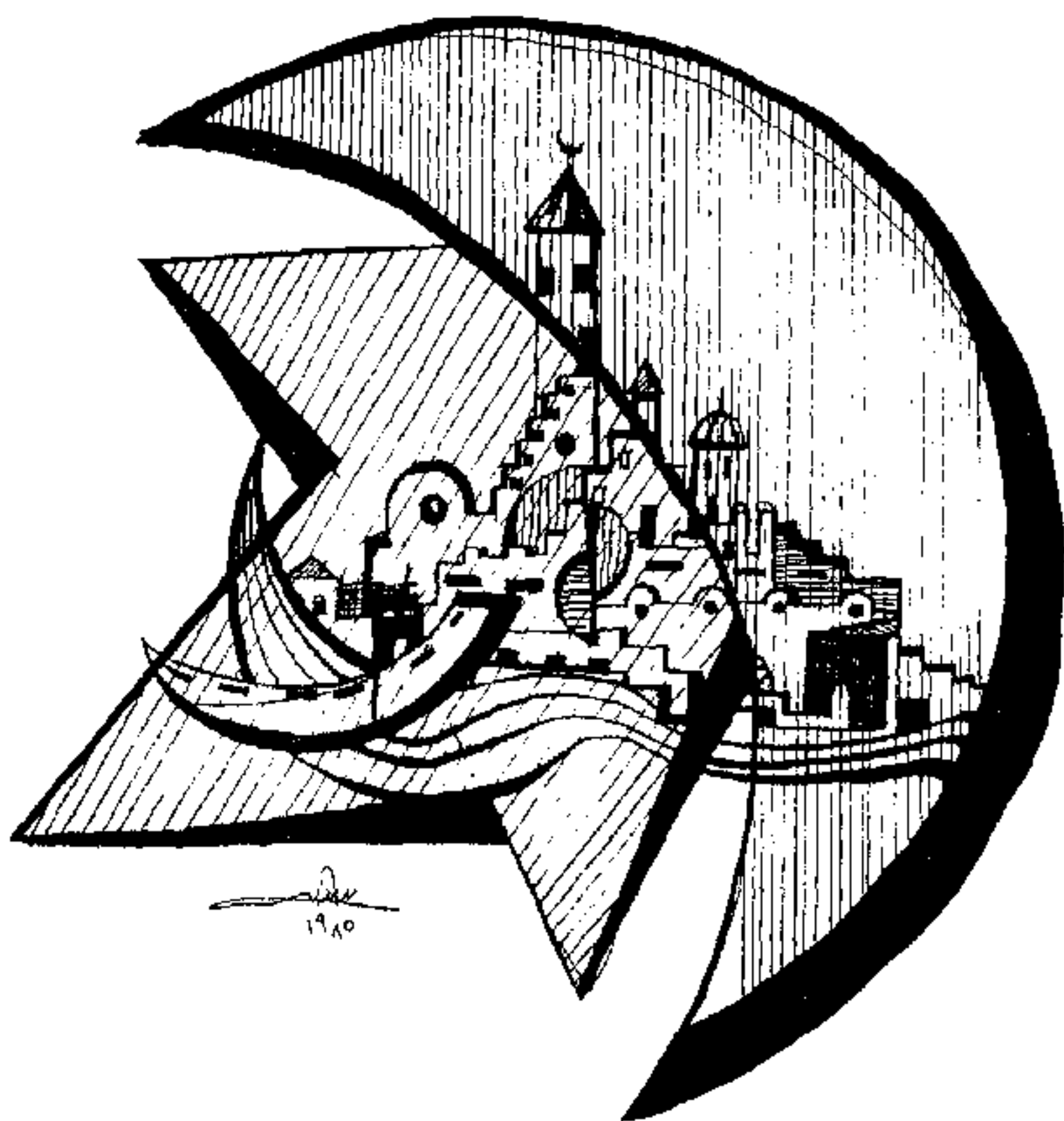
أيتها القناطرُ
لا تسدلي الستاره
عدتُ من المهاجرُ
عدتُ من الذاكرة المنهارة
بكل ما في الروح من شعائر

✱

صه صه
هذا صهيل الخيل
يهز قلب الليل

✱

غفارُ يا غفار
لا تقطعي الطريق



لستُ سوى صديق
يستنبت القفارُ
*

زجرتُ
ما ازدجرُ
يا سيدي عُمرُ
*

الفارسُ المسلمُ يستريحُ
تحضنه زيتونه
والسيد المسيح
يُطلُّ من ايقونه ..
*

رأيتُ مسمارَ جحا
مفقودهً موجودُ
رأيتُ مسمارَ جحا
موجودهً مفقودُ
رأيتُ مسمارَ جحا
في حارة اليهود ..
*

لا تطرح السلام

أصغ .. ألا تسمع
تنفس الأسوار
أصغ قليلاً أيها الغلام
ثم ا طرح السلام
وبعدها تلوذ ، كيف شئت بالفرار .

✱

آه عليك آه
إقرأ ولا تقرأ
هذا كتابُ الله
والشمسُ في الملجأ ..

✱

القرمطيُّ في
يا فقراء الأرض
صلوا على النبي
هذا زمان الرفض !

✱

سلامُ الاشواق
تصعدُ عبر الغيم
يا فارسَ البراق

جيانا مسرجةً بالضم !

*

جئتُ من الكوفة
كي أكتب الآيه
الشمس مكسوفه
من مُبلغي الغايه ؟

*

صلوا على القتيل
وطمئنوا ذويه
جئت لأفتديه
من موته الثقيل
جيوشي الزيتون والنخيل .

*

أنا سليلُ اللات
أبي الإله بعل
عُمدتُ في النيل وفي الأردنّ والفرات
أنا سليلُ اللات
أمشي ، وخلفي الشمس
الى رحاب القدس
أمشي .. وظليّ الليل !!

*

PERSONA NON GRATA

(شخص غير مرغوب فيه)

يدي لا تزالُ هناك معلقةً في الجناح القديم من المتحف ،
انتظروني قليلاً لأخلعَ هذا القميص الأخير وأخرجَ فيكم إلى
الساحة ، انتظروني لأطفئ سيجارتي ، سوف أمشي وأمشي إلى
وطني حافياً ، يا رفاقي احترقت . متى تطفئ النارَ نارٌ ؟ متى يغرق
البحرَ بحرٌ ؟ متى تُخمدُ الريحَ ريحٌ ؟

متى ؟

أتى ما مضى ومضى ما أتى

فقولوا .. متى ؟

وما زال رأسي هناك على رأسِ رُمحٍ ، وما زال قلبي
هناك ، سفرجلة تتفسخُ

حوصلةٌ تتشرخُ

أغنيةٌ علَّبتها المصانعُ

ساريةٌ حطمتها الزوابعُ

رأسي هنا ويداي هناك ، وبينى وبينى تمرُّ الشعوبُ

وتحفى الدروبُ

وما دامت الأرضُ واقفةً في المدارِ

وما دام طيشُ الدمارِ

سأنكر وجهي ويُنكرني أقربائي .

إذن هذه سنة الوقتِ من مأتَمٍ في الصباحِ إلى مأتَمٍ في الظهيرةِ ،

أَمْضِي إِلَى مَاتَمٍ فِي الْمَسَاءِ
وَأُنْكِرُ كَفِي وَيُنْكِرُنِي أَصْفِيائِي
إِذْ تَتَهَاوَى النِّيَازُكَ مِنْ قُبَّةِ الْحَزَنِ نَاضِجَةً ثَمَرًا طَيِّبًا ، جُثًّا فِي
الشَّوَارِعِ ، نَفْطًا ، أَشْعَةً لِيَزِرَ ، أَنْشَى تَفُوحٌ وَحَامًا وَتَذَكُرُ أَبْنَاءَهَا
الْمَيْتِينَ عَلَى الْأَرْضِ صَفْه
وَيَنْبَلِجُ الدَّمُ ..
تَنْبَلِجُ الْمَعْرِفَةُ .
وَضُوحًا شَدِيدًا
وَمَوْتًا رَشِيدًا

كَمَا يَقْتَضِي بِرُوتُوكُولِ الْعَوَاصِمِ وَالْأُمَمِ (اتَّخَذْتُ فِي هَوَايَةِ قَتْلِي
وَصَلَبِي عَلَى قِمَّةِ الْجَبَلِ الْمَعْدِنِيِّ) اذْهَبُوا يَا رِفَاقُ سَتَدْرِكُكُمْ حَيْثُ كُنْتُمْ
نَوَازِعُ زُوبَعَتِي الْمَذْنَفَةِ .
إِذْ هَكَذَا .. أَطْرُ تَنْكَسِرُ
صُورٌ تَنْتَثِرُ
جُثٌّ تَنْتَظَرُ
فَأَرَةٌ خُبِزَتْ فِي رَغِيفِ الْإِعَاشَةِ ،
طَائِرَةٌ وَمَلَاكُ
وَحِيدٌ عَلَى غَيْمَةٍ ضَائِعَةٍ
إِذْ هَكَذَا ،

سأرسم للولد البدوي الأخير ذراعاً معلقةً فوق حائط سجن ، وأعدو
على سكة ، قد يجيء القطار السريع من الشرق للغرب أو قد يجيء
قطار الجنوب ، ولا بأس ، أدرك أنني دُفعتُ إلى نقطة في أقاصي
الشمال

ولا فرقَ سال دمي في ثلوج الحقيقة أو في سراب
الرمال

ولا ضيرَ في الموت ليلاً على القارعه
ملاكاً وحيداً على غيمة ضائعه
أجل طال صليبي ولا أكفرُ
وما زلتُ أمشي على جمرِ روحي وأستغفرُ
أجل أذكرُ

لدى نار مدفأة في ضواحي المدينة أرملة تستعيد حكايات عشاقها ،
ورجال كثيرون يكون ليلاً ويغتسلون مع الفجر ، يرتشفون
فناجينهم قبل أن يهرعوا للعمل
وطائرة ظهرت فجأة
واختفت فجأة

وقتلُ محاول أن يتذكر عاشقة أشعلت روحه بالأمل
أجل تتكاثر في قاع نومي الأفاعي ، أمدُّ ذراعي إلى كوكب في
الفضاء البعيد ، تحزُّ البروق شرايين صدري ، وأصرخ لا الماء ،

صرختي شارتني أنني لا أزال على الأرض جسماً وحزناً ، أمدُّ ذراعي
وأصرخ من لوعةٍ ، يا حبيبة عمري نموت ولا لن نموت
أجل جسدي أمةٌ ويدي دولةٌ وفي ثورةٍ وأصابعُ كفي مزارعُ
أوردتي منشآتُ جبني مصانعُ أنفي جسورُ وساقِي شوارعُ أذني
مدارسُ عيني بيوت

وإني أموتُ ولا لن أموتُ

ليفترس الظلُ ما شاء ، خابيتي لا تخون النبيذَ المعتقَ فيها ، وأزمعتُ
أمراً ، رهاني كما قلتُ أمسِ الجوادُ الأخيرُ الذي سيفوزُ ، انهضوا
وارفضوا ميتةَ الذلِّ ، صندوقُ أمواتكم خشبٌ فاسدٌ ، إن نعشي
المبطنُ بالمخملِ الأرجواني أحلى وأغلى وأعلى ، انهضوا وارفضوا
جثتي فوق أسدافكم نجمةٌ تومض

فانهضوا

وارفضوا !

هنا أولُ المجزرة

وآخرها صيحتي القمرية

وأدركُ أن زجاجي تُهشمُهُ طلقةٌ ، صوبوا جيداً ، حاولوا أن أكون
القتيلُ ، صغاري صغارٌ على الموتِ ، فاكهةٌ فجئةٌ لا تليقُ
بأسيادكم ، صوبوا جيداً ، إن زوجتي الآن آمنةٌ بين أشياءٍ مطبخها ،



صَوَّبُوا جِيداً ، هَا أَنَا الْآنَ وَحْدِي أَطَالُعُ «مَجْنُونِ إِيْسَا» إِذَا مَا لَ
قَنَاصُكُمْ بَوَصْتَيْنِ سَيُبْصِرُ بِي شَبْحاً هَادِئاً قَرَبَ نَافِذَةِ الْمَكْتَبَةِ
تَعَالُوا ،

تَعَالُوا جَمِيعاً بَنِيرَانِ حَقْدَكُمْ الْمَرْعَبَةُ
تَعَالُوا ! لَدَيَّ هُنَا سُلْمٌ لَوْلَبِي يَخِيطُ السَّمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ ، مَرْوَحَةٌ
تَتَعَطَّلُ فِي الْحَرِّ ، دَبَّابَةٌ تَتَمَشَّى عَلَى بَطْنِ سَيِّدَةٍ حَامِلٍ ، وَلَدَيَّ هُنَا أُمٌّ
مُجْدِبَةٌ

جَمَاجِمُ مَسْفُودَةٌ بِالنِّيَاشِينَ فِي بَوْرِصَةِ الْمَوْتِ ، أَحْذِيَّةٌ سَكَنْتُهَا
الْعَقَارِبُ ، مَنْ لِي بِكَوْبٍ مِنَ الْمَاءِ مِزّاً أَجَاجاً لِقَاءَ دَمِي وَدَمَوْعِي ،
جُرَحَتْ وَجَرَحِي بَلِيغٌ وَصَوْتِي بَلِيغٌ وَصَمْتِي بَلِيغٌ ، وَإِنِّي أَطَاطِيءُ قَلْبِي
احْتِرَاماً .. تَعَالُوا

عَذَابِي أَنْبَهَارُ
وَسَخْطِي ابْتِهَالُ

تَعَالُوا

تَعَالُوا

بِقَائِي هَرُوبُ

وَمَوْتِي قِتَالُ

وَأَقْسَمُ بِالتِّينِ وَالنَّفْطِ وَالصَّمْتِ وَاللَّغْطِ وَالْخَصْبِ وَالْقَحْطِ وَالشَّهْدِ
وَالسُّمِّ الْوَرْدِ وَالْدَّمِّ وَالْجَهْلِ وَالْعِلْمِ وَالْأَمْسِ وَالْيَوْمِ أَقْسَمُ أَنِّي

أقاتل
وسوف أظلم أقاتل
وسوف أقاتل
وسوف أظلم
ليولد حقٌ ويزهق باطلٌ
وسوف وسوف ، علا وأسف ، ودار ولفٌ وجارٌ وعفٌ ومارٌ وكفٌ
وماذا ؟ وكيف؟
إذن هكذا ،
سقوطٌ الى قمة الموت ،
خيلٌ تخبُّ وراءٌ على حلبة النكبة - المهزلة
إذن هكذا ،
ركونٌ إلى غفوة الظهر في مقعد الباص ، زنزانة مقفلة
وحيضٌ على العقم ، عقمٌ على الحيض والحزن والرفض والحب
والبغض ، منتجعٌ - مزبلة
سأخرجُ من جسدي .. لا أطيعُ
وأبحثُ لي عن صديقٍ
سأرحلُ عن خطوتي .. لا أطيعُ
وأبحثُ لي عن طريقٍ
وما من طريقٍ سوائي

وهذي خطائي
وفي جسدي الخطوة المقبلة

رويداً .. سأعترف الآن :
قلت أطاطيء رأسي احتراماً لأخت الخليفة ، يعبرُ حراسُها وتعودُ
إليَّ ، أطاطيءُ سرواها وأجودُ بما يسرَّ الله من نعمةٍ وتجدُ بما يسرُّ
الملكُ (الملك يعطي ليأخذ ؟)
وأعترف الآن : رأسي لغم
ورأس الخليفة قنفذ
وإنَّ الخليفة يمنحني أخته خلسةً
ليأخذ رأسي علانيةً ..
دُونُوا يا رفاق
أنادي بملكي من تونس
وفمي في العراق
وفي الشام ساقِي الأخيره
وقلبي يخفقُ حياً وَغَضاً
هنالك تحت رمالِ الجزيره
وزندي عرفُ البراق
إذن دُونُوا يا رفاق :

مقتُ وأمقتُ أختَ الخليفة
وبيتَ الخليفة
وصوتَ الخليفة
وأعترفُ الآن :
قلبي قذيفة !
وكفي ملاكُ
وروحي نظيفة ..
وحزني قبيحُ
وصبري جميلُ
ويقتلني الصمتُ .. ماذا أقولُ ؟
ويقتلني القولُ .. ماذا أقولُ ؟
«عبيدُ وقد ملكوا !»
ما أقولُ
لعصفورةٍ أرهقتها العواصفُ
والصل في العش
والنارُ تخلقُ وجه الحقولُ ؟
«عبيدُ وقد ملكوا ؟»
ما أقولُ
لطفل يتيم وطفلٍ قتيلُ



«عبيدٌ وقد ملكوا ؟»

ما أقول

لعمري القصير وليلي الطويل ؟

سأخرجُ من وردةٍ سحقتهَا جنازيرُ دبابَةٍ ، ثم أخرجُ من رئةٍ ثَقَبْتُهَا
البنادقُ والخطبُ المنتقاةُ من المفرداتِ الفصيحةِ جداً . سلامٌ عليكِ
دمي . وسلامٌ على جثتي . وسلامٌ على من أحبُّ ومن لا أحبُّ . سلامٌ
على ما أحبُّ وما لا أحبُّ . سلامٌ على سقسقاتِ العصافيرِ في الفجرِ
(عصفورتي علقتُ والأولى نصبوا الدبقَ أعرفُهم واحداً واحداً . ويمينا
لزاماً وفصلاً ختاماً لسوف أُعلِّقُهم واحداً واحداً بمشانقِ حزني التي
جُذِلَتْ من شرايينِ لحمي ومن شعرِ سيدي الميتة) .

رويداً رويداً ،

سينتَعِشُ الفندقُ الفخمُ عما قريبٍ .. رجالٌ . نساءٌ . عطورٌ . وأرديةٌ
(إن تصميمِ كاردانِ متزنٍ ويليقُ بما يجعلُ الشهداءَ نجوماً ..) وأقسمُ
بالماءِ والنارِ والملحِ والخبزِ لن يُفْلَتَ المجرمونُ السكارى بدمعي .
وأقسمُ لن يذبلَ الوردُ . لن تهملَ الأضرحةُ
وأقسمُ بالنصلِ والمذبحه ..

إلى أين تمضي اليماماتُ ؟

من أين تأتي رفوفُ السنونو ؟

حرامٌ عليّ السقوطُ تبعاً علي بابِ أسئلتي ، وحرامٌ عليّ
طعامي ومائي
إذا لم أرمم تضاريسَ وجهي ولم أستعدّ شعلةَ الكبرياءِ
حرامٌ عليّ ترابي
حرامٌ عليّ سمائي
تحلّقْ حولِ ضريحِي المسوخُ الأنيقون . لم يطرحوا الوقت . قالوا :
- أتُنشدُ ؟

قلتُ :
سأنشدُ باسمِ الذي يقتلُ العلقَ المنتظرَ
ومبتدأي والخبرَ
وأغنيةَ ذُبحتْ بالوترِ
وسنبلةَ من حجرِ
وأُنشدُ مرثيتي الثانيةَ
وجغرافيا الكلمات البعيدة والصُّورِ العاليه
وأُنشدُ لحمي على الطرق الداميه
وسفرَ خروجي من الجنة القاسيه
وأُنشدُ لاسمي
وأُنشدُ بأسمي
وباسمي يلتهم البحرُ طاقمَ غواصة ضائعه

وتُنشدُ عاصفة الموتِ ألحانها الرائعة
وباسمي يُكتبُ في الماءِ إسمي
ويمحي على الماءِ جسمي .
وقالوا وقلت
وصالوا وجُلتُ
أنا المعضله
تلكاً قناصُ بيروت . أنقذني الموتُ في غربتي - الوطن - الكفن -
الجلجله
ولا حلٌ في الحلِّ حرباً وسلباً .. أنا المعضله
أنا الأغنياتُ أنا السنبلاتُ أنا الراجياتُ أنا القنبله
ولا خيرَ غيري
ولا شرَّ غيري
أنا الممكنُ المستحيلُ القبيحُ الجميلُ القصيرُ الطويلُ العدوُّ الدخيلُ
الصديقُ النبيلُ أنا السلسبيلُ الوحولُ القويُّ الذليلُ الشقيُّ الأصيلُ
الغليظُ الثقيلُ السمينُ الهزيلُ الرمالُ النخيلُ البروقُ السيولُ
الصحاريُّ الطلولُ
أنا ناطحاتُ السحابِ ، السحابُ ، الغيابُ الحلولُ الطلوعُ
النزولُ
أنا الممكنُ المستحيلُ

ولا ظلٌ غيري
ولا شكلٌ غيري
ولا حلٌ غيري
وحلي على قدرٍ ظهري
وظهري على قدرٍ عمري
وعمري على قدرٍ صبري
وصبري جميلٌ جميلٌ
وصبري طويلٌ طويلٌ ..

أسوقُ شياهي الهزيلة صوب المياه القليلة في شهقة البید لا تشربُ
النفطَ نوقي . ولا تستحمُ بناتي بآبار نفط الغزاة . هُنَّ الغديرُ ومائي
النميرُ وصوتي البشيرُ النذيرُ
هُنَّ إلهي العظيم القديرُ
وأوكلُ أمري لسري
ولا سرٌّ غيري ..

على كاهلي جبلٌ من سقوطٍ مُشين . عدوي يُعلمني كيف أخلعُ نعلي
وأهربُ (شكراً) عدوي يُعلمني كيف أشحذُ نصلي وأضربُ (شكراً)
جزيلًا ..)

غرامي يوغلُ في الأرضِ عرضاً وطولاً
ويكتسحُ المستحيلاً

غرامي يقول لي «اكتب» وأكتب
ثم يقول لي «اقرأ» وأقرأ

ثم يقول لي «أذهب إلى ملكوتي
غنياً
قوياً
فتياً

جَمِيلاً ..»

وشكراً جزيلاً .

على متن طائرة اللوفتهنزا تعثرتُ بالجثث . انتقدوني كثيراً . وهاجتُ
على المضيفات واحتشد الطاقم . انتهرتني من الفارست كلاس سيدة
(من بلاد الملايو ؟) ووبَّخني رجل (ربما من هواي !) اعتذرت كثيراً
وأسرفتُ في الانحناء كما يقتضي بروتوكول الجنائز . لكنهم رفضوا
الاعتذار وحولني الكابتن العصبيُّ إلى شركات الملاحة من آسيا .
عبرتُ غيمةً بملاكين مضطجعين على متنها . فرفعتُ ذراعِي في لهفةٍ
وصرختُ : ألا أيها الصَّاحبان ألا تأخذان الفتى للبلاد التي أسقمتها
فضائلها ؟ للبلاد التي بهظتُ روحها لعنات الأراملِ وامتلكت
جسمها شهوات الحرائق ؟ يا أيها الصَّاحبان ارحماني !

ولم يبصراني

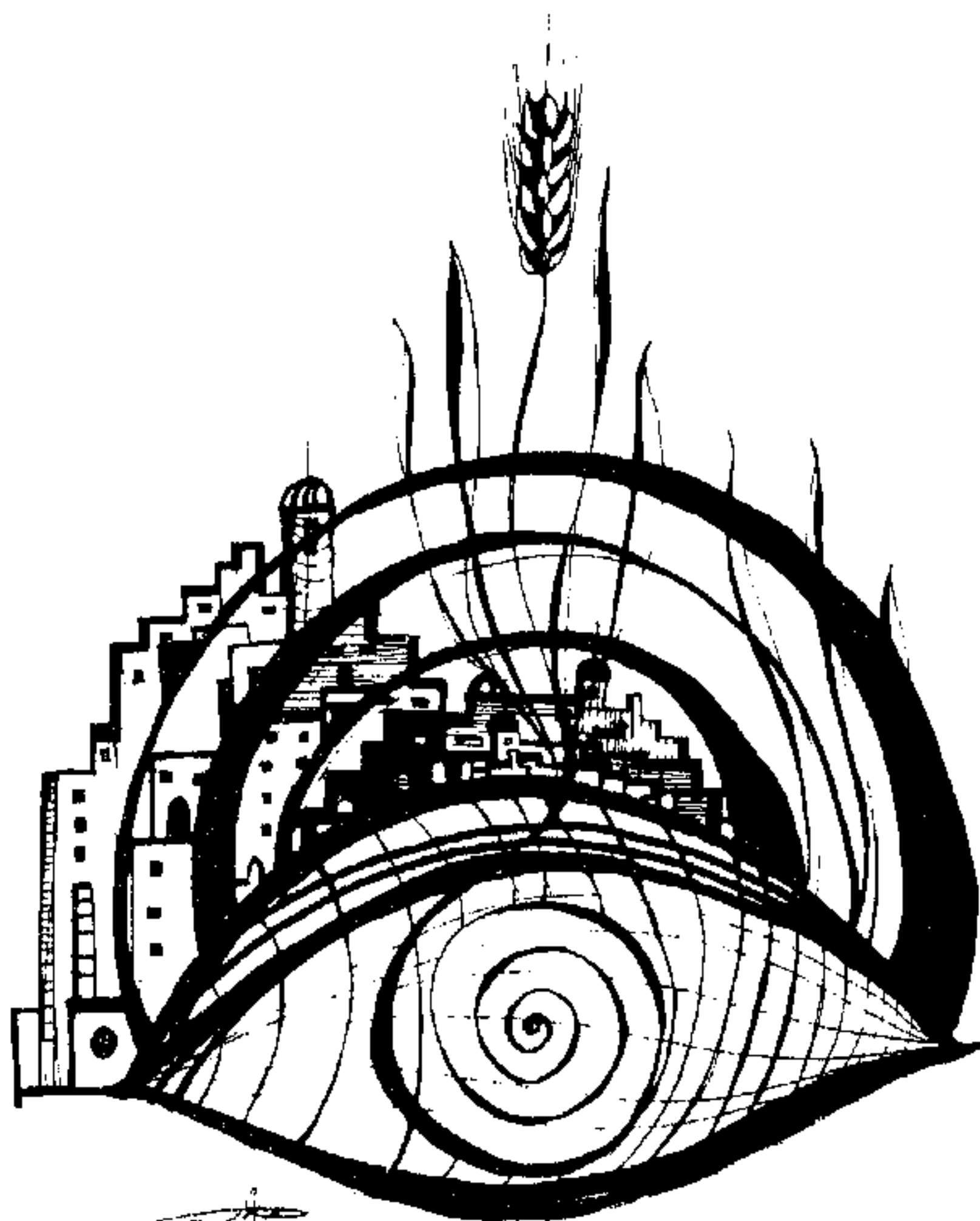
ولم يسمعاني

تَجَمَّعْتُ . شِلَوْا فِشْلَوْا . تَجَمَّعْتُ مِنْ تِيهِ أَرْكَانُهَا الْأَرْبَعَةُ
وَحِينَ دَخَلْتُ ، تَأَفَّفَ حَارِسُ مَقْبَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ
لَأَنِّي اقْتَحَمْتُ الْمَكَانَ الْمُقَدَّسَ مُنْتَعِلاً جَثِّي . سَاجِداً فِي حِذَائِي
وَلَمْ أَخْلَعْ الْقَبْعَةَ
وَلَمْ أَحْتَرَمْ مَوْقِعَهُ

وَصَاحَ وَنَاحَ وَهَاجَ وَمَاجَ . وَأَقْبَلَتِ الشَّرِطَةُ الْمُسْرَعَةُ
وَتَمَّ اعْتِقَالِي بِدُونِ مَقَاوِمَةٍ (مَنْ أَقَاوِمُ ؟ أَلْبَرْدُ يَقْتُلُنِي فِي الْعِرَاءِ . وَدَفْءُ
السَّجُونِ أَحَبُّ إِلَى الْأَجْنَبِيِّ الْمُطَارِدِ مِنْ بَرْدِ أَحْلَامِهِ الْمَفْرَعَةِ .)

يَسَاوِرُنِي الشُّكُّ فِي لَفْتِي . هَلْ كَفَرْتُ ؟ اعْذِرُونِي وَلَا تَعْذِرُونِي .. أَنَا
الْغَجْرِيُّ الْمَحَاصِرُ فِي حَزْنِهِ . الْمُسْتَمِيتُ عَلَى وَرْدَةٍ وَقَلِيلٍ مِنَ الْخَمْرِ
وَالنَّارِ . مَوْتِي مَجْوُونِي . وَبِعْثِي جَنُونِي .

وَحَرَّتِي صَرْخَةٌ تَتَرَدَّدُ مِلْءَ الْمَنَافِي وَمِلْءَ السَّجُونِ !
يَسَاوِرُنِي الشُّكُّ فِي الشُّكِّ ! مَنْ كُنْتُ ؟ هَلْ كُنْتُ غَيْرَ غَلَامٍ مِنْ
الشَّرْقِ يَكْسِرُ أَسْنَانَهُ الشَّمْرِ الْفَجُّ ؟
لَمْ تَشْرِقِ الشَّمْسُ دَهراً وَيوماً ، فَمَا يَصْنَعُ الشَّجَرُ ؟ الذِّكْرِيَّاتُ مَضَتْ



1910

في مهبِّ الريحِ . ولم يُسعفِ الطَّلُعُ . لم يعقد الزهرُ . واختبَل الطَّقسُ
في وطنِ الاحجياتِ

ومن كنتُ ؟ هل كنتُ غيرَ التَّقِيِّ المصلِّي وقد أطبقَ الكفرُ ؟ ثم يُعيد
الصلاةَ .. ويُطبقُ سقفَ المصلَّى على المؤمنين النشاوى بروح
الصلاةِ .

أكانَ كثيراً على الغصنِ طعمُ الثمرِ ؟
أكانَ كثيراً على الأرضِ ظلُ الشجرِ ؟
أكانَ كثيراً على الحُلُمِ عطرُ السواقي

وضوءُ الزهورِ

ولحنُ القمرِ ؟

أكانَ كثيراً عليَّ قديمُ الأصيلِ
وكانَ كثيراً عليَّ جديدُ السَّحرِ ؟

بلادي .. بلادي .. بلادي !

أكنتُ كثيراً عليكِ

وكنتُ كثيراً عليَّ

وكنّا كثيراً على الأمنياتِ وفي الخطواتِ وبين اللغاتِ وبين البشرِ ؟

رويداً ،
هنالك زنبقة تتأملُ قامتها في مرايا الدماءِ القديمة . لا تُربكوا
الزنبقة
ولا تخذشوا صمتها المتأليء بالدمع . لا تفتحوا الكوة المغلقة
رويداً ،

دعوا الليلَ في شأنه . سيثوبُ إلى رشدهِ الضوءُ . عما قريبٍ
يثوبُ إلى رشدهِ الضوءُ . لا تلمسوا الصخرةَ المطبقة
رويداً .. رفاقي الأعزاء ، لا بدَّ لي من نزيفٍ جديدٍ لأحكمَ رأسي على
جثتي . أيها الأصدقاءُ المسُوني لأذكرَ أنني حيٌّ ، لأنهمضَ من غفوتي
المرهقة

ولا تزعجوا الزنبقة
دعوها تؤبِنُ بنيتها
دعوها تكفنُ ذوبها
ولا تُخمِدوا هبَّ المحرقة ..
هنالك بنتٌ تغني وراءَ التلالِ البعيدة . لا تسمعوا الأغنية
ولا تذكروا البنتَ في مركز الشرطة . انتبهوا جيداً لاختلالِ الموازين
واجتنبوا المعصية
هنالك بنتٌ تغني
وتسألُ عني

وقلبي يسألُ عنها وعني
وقلبي يغني
وتبتهل الأودية

على الطرقات الطويلة تمضي الجنائزُ
وتبقى الحواجزُ
ويبقى غلامٌ من الشرقِ دون جوازٍ مرورٍ ودون هويةٍ
وتبقى القضيةُ
ذراعاً معلقةً فوق باب الأمانِ القصيةِ
وأجنحةً من ضبابٍ
وساقيةً في السرابِ
تخف إليها خرافي
وتبقى السوافي
وراء السوافي
وراء السوافي ..

لتبتديء الحربُ في الجهة الرابعة
ليُشعلُ قناديله الريفُ ! ضوء المدائنِ داءٌ عُضالٌ . ليبتديء المنشدون
اليتامى أناشيدهم للزمانِ المماطلِ . ها أنذا في سمائي البعيدةِ مصغٍ

لهم . قد يسمّونني خاطفَ الطائراتِ ، المخربُ ، قد يهدرون دمي
للصوص الذين سطوا في النهار على منزلي
سلبوا . نهبوا . اغتصبوا . خربوا . نكبوا . غربوا . أقبلا . قتلوا .
ذهبوا . أكلوا . شربوا . فضة . ذهب . حنطة . ثياب . مارس .
رجب تعبوا واستراحوا أخيراً على جثتي الوادعة
لتبتديء الحرب في الجهة الرابعة
ليبتديء السلم في الجهة الرابعة !

سأغتسل الآن . ماء الحصار شحيح (دمي يا دمي يا غسولي الأخير)
تفجر . تقطر . تخثر . تحجر . تبلور . تمرّد . تجدد . تجمّد . تصعد .
تمدّد . تألم . تكلم . تعلم . تقدّم .
دمي يا دمي ، يا غسولي الأخير
دمي يا دمي ، يا صباحي الأخير
سأغتسل الآن ! لا بدّ من مطر . سيقوم الكسيح ويشفي
المرضى
ويُعشبُ قبري الطويل العريض



سترجع من حيثُ جئتُ ينمُّ عليك الحنينُ وتُبرقُ عيناك بالسخطِ ما
شأننا نحن يا صاحب الرعب والشهداء ؟ سترجع من حيثُ جئتُ ،
لعلك زيفت أوراقك . اجتنبتك البواخر والطائرات وعلق
صورتك المخبرون على جذر الحافلات وفي الشاحنات وفي
القاطرات جميع الخطوط تخافك ، يا سيدي جرب الدائرة
وحاول لدى النقطة الشاغرة

لعل المثلث يُعطيك زاوية للهدوء
وبين المربع والمستطيل بقاع مهياة للجوء
فحاول وحاول

لماذا تجادل ؟

وكيف تقاتل ؟

سترجع من حيثُ جئتُ ، ومعدرة سيدي ، لا نريدك

مزورة يا صديقي نقودك

وخاو بريدك

ومعد وجودك

فمعدرة لا نريدك !

- وائي ؟ لاما؟ بيركيه ؟ پوركواه ؟ پاتشيمو ؟ لماذا ؟

- لهذا !

قصائد المجموعة

٧	* القصيدة المفخخة
٤١	* أبي
٤٩	* ليلاً على باب فديريكو
٥٥	* انت تدري كم نحبك
٧٣	* مأساة هوديني المدهش
٨٩	* فسيفساء على قبة الصخرة
١٠١	* Persona non grata (شخص غير مرغوب فيه)

* الطبعات الأولى لأعمال الشاعر *

- ١ - مراكب الشمس - قصائد ، الناصرة ١٩٥٨
- ٢ - أغاني الدروب - قصائد - الناصرة ١٩٦٤
- ٣ - إرم - سريّة ، حيفا ١٩٦٥
- ٤ - دمي على كفي - قصائد - الناصرة ١٩٦٧
- ٥ - دخان البراكين - قصائد ، الناصرة ١٩٦٨
- ٦ - سقوط الاقنعة - قصائد ، بيروت ١٩٦٩
- ٧ - ويكون أن يأتي طائر الرعد - قصائد ، عكا ١٩٦٩
- ٨ - اسكندرون في رحلة الخارج ورحلة الداخل - سريّة ، الناصرة ١٩٧٠
- ٩ - قرقاش - مسرحية ، حيفا ١٩٧٠
- ١٠ - عن الموقف والفن - نثر ، بيروت ١٩٧٠
- ١١ - ديوان سميح القاسم - قصائد ، بيروت ١٩٧٠
- ١٢ - قرآن الموت والياسمين - قصائد ، القدس ١٩٧١
- ١٣ - الموت الكبير - قصائد ، بيروت ١٩٧٢
- ١٤ - مرثي سميح القاسم - سريّة ، بيروت ١٩٧٣
- ١٥ - إلهي إلهي لماذا قتلتني ؟ - سريّة ، حيفا ١٩٧٤
- ١٦ - من فمك أدينك - نثر ، الناصرة ١٩٧٤
- ١٧ - وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ؟ - قصائد ، القدس ١٩٧٦
- ١٨ - ثالث أكسيد الكربون - سريّة ، حيفا ١٩٧٦
- ١٩ - الى الجحيم أيها الليلك - حكاية ، القدس ١٩٧٧
- ٢٠ - ديوان الحماسة (الجزء الاول) - قصائد ، عكا ١٩٧٨
- ٢١ - ديوان الحماسة (الجزء الثاني) - قصائد ، عكا ١٩٧٩
- ٢٢ - احبك كما يشتهي الموت - قصائد ، عكا ١٩٨٠
- ٢٣ - الصورة الأخيرة في الالبوم - حكاية ، عكا ١٩٨٠
- ٢٤ - ديوان الحماسة (الجزء الثالث) - قصائد ، عكا ١٩٨١
- ٢٥ - الجانب المعتم لمن التفاحة ، الجانب المضى من القلب - قصائد ، بيروت ١٩٨١
- ٢٦ - جهات الروح - قصائد ، حيفا ١٩٨٣
- ٢٧ - قرابين - قصائد ، لندن ١٩٨٣
- ٢٨ - كولاج - تعبيرات ، حيفا ١٩٨٣
- ٢٩ - الصحراء - سريّة ، عكا ١٩٨٤
- ٣٠ - برسونا نون غراتا - قصائد ، حيفا ١٩٨٦

